

مقصد حفظ النفس وأثره في مكافحة المخدرات والتدخين**مراجعة مقال □ Review Article****أ.م.د. مصطفى كاظم محمود****mostafa.shallal@cois.uobaghdad.edu.iq****جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية****الملخص**

يبحث هذا المقال في مقصد حفظ النفس بوصفه أحد المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية، ويبرز مكانته في حماية الإنسان من كل ما يهدد حياته وصحته، ويركز على المخدرات والتدخين بوصفهما من أخطر الآفات التي تلحق أضراراً جسدية ونفسية واجتماعية بالفرد والمجتمع. ويبين المقال الأساس الشرعي لتحريمها استناداً إلى النصوص والقواعد الفقهية التي تمنع الإضرار بالنفس، وكذلك دور الوعي التربوي والصحي والديني في مكافحة هذه الظواهر .

الكلمات المفتاحية : حفظ النفس ، المكافحة، المخدرات، التدخين .

The purpose of preserving life and its impact on combating drugs and smoking**Assistant Professor Dr. Mustafa Kazem Mahmoud****University of Baghdad / College of Islamic Sciences****Abstract**

This article examines the objective of preserving life as one of the essential objectives in Islamic law, and highlights its importance in protecting man from everything that threatens his life and health, It focuses on drugs and smoking as two of the most dangerous scourges that cause physical, psychological and social harm to the individual and society. The article explains the legal basis for prohibiting them based on texts and jurisprudential rules that prevent harming oneself, as well

as the role of educational, health and religious awareness in combating these phenomena.

Keywords: Self-preservation, combating, drugs, smoking.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعل شريعته قائمة على جلب المصالح ودرء المفاسد، ورتب أحكامها على أسس تحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إما بعد:

" تعد مقاصد الشريعة إطاراً نظرياً ومنهجياً يحدد الغايات الكبرى التي جاءت الشريعة لتحقيقها وصيانتها، ومن أبرز هذه المقاصد : حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال . ويأتي مقصد حفظ النفس في المرتبة الثانية بعد حفظ الدين، نظراً لما للنفس الإنسانية من قيمة عظيمة في البناء الاجتماعي والحضاري، وكذلك لكونها أساس التكليف والعمران البشري وفي خضم التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات، تبرز المخدرات والتدخين بوصفها من أخطر الظواهر التي تهدد النفس الإنسانية في وجودها وصحتها وسلامتها، بما تحمله من آثار صحية واجتماعية واقتصادية مدمرة".

ومع " تزايد انتشار المخدرات عالمياً، وتنامي معدلات التدخين خصوصاً بين فئة الشباب، يصبح استحضار مقصد حفظ النفس ضرورة للحد من هذه الظاهرة، ومن هنا تأتي أهمية هذا المقال الذي يسلط الضوء على مفهوم حفظ النفس، وجذوره الشرعية، وأثره في مكافحة المخدرات والتدخين، مع تحليل الإطار الشرعي والعلمي والاجتماعي الذي يسهم في مواجهة هذه الآفات ". (ابن عاشور، ٢٠١١، ص ٩٧) .

أولاً : مفهوم حفظ النفس في الشريعة الإسلامية

١- تعريف النفس ومكانتها :

النفس في الاصطلاح الشرعي : هو حفظ الأرواح من التلف أفراداً وعموماً ؛ لأن العالم مركب من أفراد الإنسان، وفي كل نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم . (الأصفهاني، ١٩٩١، ص ٥١٢) .

وقد أكدت النصوص الشرعية على قدسية النفس وحرمة الاعتداء عليها، قال تعالى : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا

الإسراء: ٧٠، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ **النساء: ٢٩** .

٢- موقع حفظ النفس ضمن المقاصد الكلية :

"لقد أجمع العلماء، ومنهم الشاطبي والغزالي وابن عاشور على أن حفظ النفس أحد المقاصد الضرورية التي لا تستقيم الحياة بدونها، لذلك عنيت الشريعة الإسلامية بالنفس عناية فائقة، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصالح لها، ويدفع المفاسد عنها، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء عليها، لأنه بتعريض الأنفس للضياع والهلاك يفقد المكلف الذي يتعبد لله سبحانه وتعالى، وذلك بدوره يؤدي إلى ضياع الدين". (الغزالي، ١٩٩٧، ص ١٧٣).

ويكون حفظ النفس من جانبين : (ابن عاشور، ٢٠١١، ص ٩٢) .

- جانب الوجود : وهو توفير ما يلزم لبقاء الإنسان، كالغذاء والدواء والوقاية .
- جانب عدم : وهو منع كل ما يفضي إلى الإضرار بالنفس كالقتل والانتحار وتعاطي السموم .

ثانياً : المخدرات والتدخين : المفهوم والأضرار

١- تعريف المخدرات : "هي مواد كيميائية أو طبيعية تؤثر على الجهاز العصبي المركزي، فتغير من الحالة النفسية والمزاجية، وتسبب الإدمان، وقد تؤدي إلى الوفاة" . (nlda,2021.pp.2-4) .

٢- تعريف التدخين : "هو حرق مادة نباتية (غالباً التبغ) واستنشاق الدخان الناتج، ويعد أحد أكثر العوامل المسببة للأمراض المزمنة كأمراض القلب والسرطان" . (who-tobacco.2022,p.1) .

٣- الأضرار الصحية : تشير الدراسات الطبية إلى أن المخدرات والتدخين يؤديان إلى :

- اضطرابات الدماغ والجهاز العصبي .
- ارتفاع معدلات السرطان، خصوصاً سرطان الرئة والفم .
- أمراض القلب والشرابين .
- تدهور وظائف الكبد والكلية .
- ضعف المناعة وازدياد حالات العدوى .
- اضطرابات نفسية كالقلق والاكتئاب والذهان . (apa,dsm,2022,483-485) .
- ٤- الأضرار الاجتماعية والاقتصادية وتشمل : (unodc,2022,pp.41-45) .
- انخفاض الإنتاجية وارتفاع معدلات البطالة .
- انتشار الجريمة والعنف .
- التفكك الأسري والطلاق .

- أعباء مالية ضخمة على أنظمة الرعاية الصحية .
- هذه الأضرار "تجعل المخدرات والتدخين في حكم المهلكات التي تتعارض صراحة مع مقصد حفظ النفس والعقل" .

• ثالثاً : الأساس الشرعي لتحريم المخدرات والتدخين :

١- النصوص الشرعية : تحرم الشريعة الإسلامية كل ما يفضي إلى الإضرار بالنفس أو العقل، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لَلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ البقرة: ١٩٥ ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧ ، وقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضَرَارَ)) . (ابن ماجه، ٢٠٠٩، ص ٤٣٢) .

٢- القياس على الخمر : "حرمة المخدرات تستنبط من قياسها على الخمر، لوجود علة مشتركة، وهي الإسكار أو تغييب العقل . أما التدخين، فعُدل عن الإسكار إلى علة الإضرار والهلاك" . (المقدس، ١٩٩٧، ص ٤٩٥) .

٣- القواعد الفقهية المتعلقة بالتحريم :

- الضرر يزال
 - درء المفساد مقدم على جلب المصالح .
 - ما أدى إلى الحرام فهو حرام .
- تمثل هذه القواعد أساساً فقهياً قوياً لمكافحة المخدرات والتدخين بوصفهما مفسدات تهدد النفس . (السيوطي، ٢٠٠٣، ص ١١٤) .

رابعاً : مقصد حفظ النفس ودوره في الوقاية من المخدرات :

١- التربية الوقائية : "الوعي بالمقاصد الشرعية يسهم في تشكيل وعي أخلاقي لدى الأفراد، من حيث احترام النفس وحمايتها، وفي هذا السياق تلعب المناهج التعليمية، والمنابر الدينية، والبرامج الإعلامية، دوراً أساسياً في ترسيخ مفهوم الحفاظ على النفس" . (النحلاوي، ٢٠٠٧، ص ٦١) .

٢- تشجيع السلوك الصحي : " يرتبط حفظ النفس بتشجيع السلوكيات التي تدعم الصحة الجسدية والنفسية، مثل الرياضة، والتغذية السليمة، مما يقلل الحاجة إلى اللجوء للمواد المؤثرة نفسياً".

٣- تعزيز مناعة المجتمع : عندما يغرس المجتمع قيم حفظ النفس، يصبح أكثر مقاومة لانتشار المخدرات، حيث تزداد قابلية الأفراد لرفض التعاطي والابتعاد عن رفقاء السوء .

خامساً : مقصد حفظ النفس ودوره في مكافحة التدخين

١- التوعية والارشاد : يعد التدخين من أكبر مصادر الوفيات القابلة للوقاية، ومن منطلق حفظ النفس، لا بد من إقامة حملات توعية وارشاد لمكافحة التدخين واجباً شرعياً ومصلحة اجتماعية .

٢- التشريعات الصحية المستمدة من المقاصد : من صور تطبيق مقصد حفظ النفس في مكافحة التدخين :

- فرض ضرائب عالية على التبغ .
- منع التدخين في الأماكن العامة .
- منع الإعلانات المروجة للتدخين .
- التحذيرات الصحية على العلب .

٣- دعم الإقلاع عن التدخين : تستمد برامج الإقلاع عن التدخين قيمتها من مقصد حفظ النفس، إذ توفر حماية للأفراد وتقلل خطر الإصابة بالأمراض .

سادساً : دور المؤسسات في تفعيل مقصد حفظ النفس

١- المؤسسات التعليمية : تقوم بترسيخ الوعي الصحي والتربوي لدى الطلاب عبر المناهج والأنشطة .

٢- الجهات الصحية : تقوم بالعمل على الوقاية والعلاج، وتوفير برامج التأهيل للمدمنين .

٣- المؤسسات القضائية والأمنية : تقوم بتنفيذ التشريعات الرادعة، مما يحمي المجتمع من انتشار هذه الآفة .

٤- المؤسسات الدينية : تقوم بتعزيز الخطاب الشرعي حول حفظ النفس وضرورته في مكافحة الإدمان .

سابعاً : نموذج مقاصدي شامل لمواجهة المخدرات والتدخين

- ١- الردع الديني : في بيان حرمة الإضرار بالنفس .
- ٢- الردع القانوني : في تشديد العقوبات على الترويج والاتجار .
- ٣- الردع الاجتماعي : توفير بيئة صحية وتنقيف مجتمعي .
- ٤- العلاج والتأهيل : جمع بين الطب النفسي والدعم الروحي .

يسهم هذا النموذج في تقليل معدل التعاطي بنسبة كبيرة عند تطبيقه بشكل متكامل. (ابن عاشور، ٢٠١١، ص ٣٨٤).

الخاتمة :

يتضح من خلال هذا المقال أن مقصد حفظ النفس يمثل أساساً راسخاً في الشريعة الإسلامية، ويمتد أثره ليشكل إطاراً نظرياً وعملياً لمكافحة المخدرات والتدخين . فهذه الآفات تشكل تهديداً مباشراً للنفس الإنسانية، وتتناقض مع كليات الشريعة ومصالحها العليا . وقد أثبتت المقاربات الشرعية والعلمية والاجتماعية أن محاربة هذه الظواهر تتطلب تكاملاً بين الوعي الشرعي، والدور المؤسسي، والتشريعات الصحية، والعلاج النفسي والاجتماعي . وفي ظل التحديات المتزايدة، يصبح تعزيز مقصد حفظ النفس ضرورة ملحة لحماية الفرد والمجتمع وتحقيق الأمن الصحي والاجتماعي .